كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ رئيس جامعة القدّيس يوسف في ٩ أيّار ٢٠١٤، خلال الجلسة الافتتاحيّة لـ «اليوم العالمي للممرّضين والممرّضات».

نلتقي اليوم لنحتفل معكم بـ«اليوم العالمي للممرّضين والممرّضات» الذي يجمع للمرة الأولى كليّة العُلوم التمريضيّة في جامعة القدّيس يوسف، وجمعية الممرّضات خرّيجات الكليّة والمجلس التمريضي في مستشفى «أوتيل ديو دو فرانس».

يُحتفل العالم أجمع بـ«اليوم العالمي للممرّضين والممرّضات» تحت راية موضوع مهمّ، وهو لسنة ٢٠١٤ ليس حياديًّا أو لا مباليًا: .«الممرّضات قوّة للتغيير: مصدر حيويّ للصحّة».

أجل، سبق للنساء أن لعبن دورًا مهمًّا في التغيير، نساء وممرّضات، يصبحن محرّكات يساعدن رجل القرن العشرين للخروج من التّخلُّف على غير صعيد.

هذه السنة ارتأت هذه الهيئات الثلاث في جامعة القدّيس يوسف أن تحتفل معًا بهذا الحدث للتأكيد على أهمية «الإضاءة على أهمية مهنة التمريض في جامعة القدّيس يوسف» من خلال محاور التنشئة والبحث وممارسة التمريض.

وقبل الغوص في الاعتبارات التقنيّة المتعلقة بالبرامج التي أشرتُ إليها والمفيدة، اسمحوا لي بأن أشيد بمهنة التمريض بما يتجاوز الأشخاص الذين يحملون العبء اليوميّ لعمل الممرّض أو الممرّضة في مستشفياتنا وفي جامعتنا. خلال دراستيّ في غزير وبيروت عند الآباء اليسوعيّين، تعرّفت على ثلاثة يسوعيّين ممرّضين ولكي أختصر القصّة أقول بإنهم كانوا أشخاصًا مميزين بحيويّتهم ومعارفهم وكفاءتهم، كما برزانتهم وصداقتهم للجميع وقد وصل إشعاع حضورهم إلى أبعد من جدران المشفى المقصود من الطلاّب والآباء وقد صنعوا منه ميناءَ سلامٍ يمكنّنا في

بعض الأحيان من الهروب من أوضاع كانت تسبّب لنا المرض. كنّا نجد عند الإخوة ماريديلي ومولدر ولابري لمسة العناية المجسّدة للرحمة والصبر والمحبّة على مثال السامريّ الصالح الذي باشر بعاطفته معالجة الرجل المجروح والملقى بجانب الطريق. حتى اللّقاحات في الإكليريكيّة التي كانت تسبّب لنا ألمًا رهيبًا وكان يديرها الأخ مولدر، فتتحوّل إلى جرعات سحريّة من الشفاء لشدّة عنايته بنا باهتمام وسهر دائمين. أردت أمامكم أن أحيي وأستذكر هذه الشخصيّات اليسوعيّة التي برغم ذكوريتها كانت تملك لمسة أنثويّة مُشبعة بروح الرقّة والجدارة والتواضع.

إن «اليوم العالمي للممرّضات» هو لحظة للمطالبة المشروعة بحقوق الممرّضة. والمهمّ أن تكون لحظة وعيّ ذاتيّ، للهويّة والرسالة، لحظة للتأمل في الواقع والمستقبل. صحيح أن هناك منحى شاعري في مقاربة شخصيّة الممرّضة، لكن من المهم والملحّ أيضًا الإشارة إلى ما يمكن أن تقدّمه كليّة العُلوم التمريضيّة على صعيد التنشئة الأساسيّة والدائمة بهدف مواجهة التحدّيات التي تعيشها الممرّضة.

مع الأخذ بالاعتبار لهذا الالتماس نستنتج اليوم أنّه وفي مواجهة التعقيدات المتزايدة في العناية والحاجة إلى فهم أعمق لمختلف الخيارات المتوفّرة والمتعلقة بالصحّة، من الضروري أن نتمتّع بتربية صلبة وثقافة واسعة. ففي هذا الإطار تعيد كليّة العُلوم التمريضيّة النظر باستمرار في برامج التنشئة لأنها تطمح نحو التميّز في التعليم والبحث. ومع الإشادة بإعادة صياغة البرامج بحسب الكفاءات، نجد العديد من المبادرات التي اتخذتها الكليّة مثل تطوير برامج التنشئة المبنيّة على مقاربة بحسب الكفاءات، وإدخال طرق جديدة للتعليم تفضّل استراتيجيّات العمل الفرديّ، والاستراتيجيّات التفاعليّة، وتعزيز التنشئة المستمرة، وفي المرحلة الثالثة، والبحث المتخصّص. في هذا الإطار أستطيع التأكيد مرة جديدة أن جامعة القدّيس يوسف وخصوصًا

مستشفى «أُوتيل ديو دو فرانس» يتابعان دعمهما لكليّة العُلوم التمريضيّة، لتمتّع الدفعات الجديدة من الممرّضات بالتميّز وروح الخدمة.

فيما يتعلّق بممارسة التمريض(«أُوتيل ديو دو فرانس») نقول إن الشخص الذي تعالجه الممرّضات يحقّ له برعاية آمنة، إنسانيّة على مستوى رفيع بأي حال إن أصول أخلاقيّات المهنة تتضمن قواعد محدّدة في هذا الموضوع، فالممرّضات إذًا مدعوات إلى تجديد معارفهنَّ لا سيّما أن المعرفة المهنيّة في نموّ دائم.

في إطار العمل هذا وهو الأكثر تطلّبًا وتحفيزًا في الوقت عينه، تتلّقى ممرّضات مسشتفى «أُوتيل ديو دو فرانس» تنشئة مستمرّة بغية تنمية كفاءاتهنَّ التنظيميّة، والقياديّة، والكفاءة في التساؤلات حول الممارسة التطبيقيّة، والابتكار والإبداع في البحث التمريضيّ.

وهكذا فإن تأمين الرعاية الرفيعة المستوى والمعطيات الثابتة في الممارسة التمريضيّة لاسيّما تلك المتعلقة بأمن المريض، هو مثال على إعادة استثمار المعارف التي تمّ تحصيلها في خلال التنشئة.

في النص إن كلمة ممرّضة تشمل الممرّضين والممرّضات، وقد اعتادت الممرّضات التعاون مع المحترفين في مجال الصحّة، ليس فقط من أجل نوعية الرعاية المقدّمة إلى المرضى، بل أيضًا إلى عائلاتهم وذلك لتطوير عملهنَّ ولحسن أداء منظماتهنَّ المختصّة بالصحّة.

فضلاً عن ذلك إن تنشئة الممرّضات خلقت مناخًا من العمل الإيجابيّ في قلب فرق الرعاية، وقد كان لذلك تأثيره على صعيد رضى الممرّضات العمليّ وكذلك احتفاظهنّ بالعمل.

في قلب كلّ ذلك نجد وجمعية الممرّضات خرّيجات جامعة القدّيس يوسف التي تعمل على تنميّة شعور قويّ بالانتماء إلى الجامعة لدى المحترفين. من شأن ذلك أن يعزّز الروابط بين

الأكاديميّ وسوق العمل ويعكس صورةً إيجابيّة للكليّة وللتنشئة ويسمح في المستقبل من تطوير إنجازات مشتركة مختلفة في قلب الجامعة.

لا أستطيع إلاّ أن أشدّد على الإقرار بالفضل لكلّ واحدة منكنَّ في هذا اليوم العالمي للممرّضات، مؤكدًا لكنَّ أن في عالمنا المتعولم والمتوحش، عالمنا حيث تتحوّل الحروب إلى مجازر ومآسٍ إنسانيّة، نحتاج إلى السيّدة بقميصها الأبيض الحاملة في يدٍ غصن الزيتون وفي الأخرى أدوات العناية، كلّ ذلك بابتسامة عريضة مرادفةٍ للرجاء ولإرادة التغيير العالم ليصير بديعًا أكثر وأشدّ إنسانيّة.